﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ٦٠﴾ [الكهف: 60]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

ربطُ خبرِ القرى المهلَكةِ بقصَّة موسى والخضر عند مجمعِ البحرين

بعدَ أن ذكَرَ اللّه سُبحانَه قَصَصَ المُشركين الذين افتَخَروا على فُقَراءِ المؤمنينَ بكَثرةِ الأموالِ والأنصارِ، وامتَنَعوا عن حضورِ مجلسِ النبيِّ ﷺ؛ لئلّا يشتَرِكوا معهم في مجلسٍ واحدٍ؛ قفَّى على ذلك بذِكْرِ قِصَّةِ موسى عليه السلام مع الخَضِر؛ ليبيِّنَ بها أنَّ موسى مع كونِه نبيًّا صادِقًا أرسَلَه اللّهُ إلى بني إسرائيلَ بشيرًا ونذيرًا، وهو كليمُ اللّهِ، فأُمِرَ أن يذهَبَ إلى الخَضِرِ ليتعَلَّمَ منه ما لم يعلَمهُ، وفي ذلك دليلٌ على أنَّ التَّواضُعَ خيرٌ من التكبُّرِ، وأنَّه من خُلُقِ المرسلين[1]، وأيضًا لمّا قدَّم الكلامَ على البعثِ، واستدلَّ عليه بابتداءِ الخلقِ، ثمَّ ذكر بعضَ أحوالِه، ثمَّ عقَّبَه بما ضرب لذلك وغيرِه من الأمثالِ، وصرَّفَ من وجوهِ الاستدلالِ، وختمَ ذلك بأنَّه يُمهل عند المساءَةِ؛ عقَّبَ ذلك بأنَّه كذلك يفعلُ عند المَسرَّةِ، فلكلِّ شيءٍ عنده كتابٌ، وكلُّ قضاءٍ بقدَرٍ وحسابٍ، فذكرَ قصَّةَ موسى مع الخضر عليه السلام وما اتَّفقَ له في طلبِه[2]، ومِن وجوهِ التَّناسب بين هذه القصَّة والآية التي قبلها مباشرةً، والتي فيها بيانُ أنَّ لكلِّ أمة موعدًا: تذكيرُ ما في هذه القصة مِن موعد الملاقاة، مع ما فيها مِن سائر المنافع الجليلة[3].

وأيضًا فإنَّه لَمّا جَرى ذِكرُ قصَّةِ خَلْقِ آدمَ وأمرِ اللّه الملائكةَ بالسُّجودِ له، وما عَرَضَ للشَّيطانِ مِنَ الكِبْرِ والاعتِزازِ بعُنصُرِه؛ جهلًا بأسبابِ الفضائلِ، ومُكابَرةً في الاعْترافِ بها، وحسَدًا في

(1) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 477، والمراغي، تفسير المراغي: 15/ 174.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 95.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/ 512.

الشَّرفِ والفَضْلِ، فضرَب بذلك مَثلًا لأهلِ الضَّلال عَبيدِ الهَوى والكِبْرِ والحسَدِ؛ أعقَب تلك القِصَّةَ بقِصَّةٍ هي مَثَلٌ في ضِدِّها؛ لأنَّ تَطلُّبَ ذي الفضلِ والكمالِ للازديادِ منهما وسَعْيِه للظَّفرِ بمَن يُبلِّغُهُ الزّيادةَ مِن الكَمالِ؛ اعترافًا للفاضلِ بفَضيلتِه، وفي ذلك إبداءُ المقابَلةِ بين الخلقَيْن، وإقامةُ الحُجَّةِ على المماثَلةِ والمخالَفةِ بين الفريقَيْن: المؤمنين والكافِرين، وفي خلالِ ذلك تَعليمٌ وتنويهٌ بشَأنِ العِلم والهُدى، وتربيةٌ للمتَّقين[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِفَتَىٰهُ﴾: (فتي) أصل يدلّ على مفارقة الحيِّ طورَ طفولته أو حداثته بالغًا طورَ شبابه، فيدلُّ الفتى على الطَّراوةِ والجِدَّة، ولهذا يُقال: (الفتى) للطَّريِّ من الإبل وللطَّريِّ من الشَّباب؛ لتميُّزه بطراءة الشباب وحماسه ونقاء فطرته قبل قساوة الحياة والتجارب، والفتى والفتاة: العبدُ والأَمَةُ، وأصل ذلك من استخدام صغارِ السن لخفَّتهم وقوَّتهم؛ فاستُعمل لهؤلاء تلطُّفًا، والفتى: الشّابُّ الصالح للخدمة والمعاشرة المؤاخذُ على تصرُّفاته[2].

2) ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: أصل (برح) يدلُّ على زوال الشَّيء عن موضعِه مع شدَّةٍ وقوَّةٍ، فيُقال: بَرَحَ يَبْرَحُ بَراحًا؛ إذا زالَ مِنْ مَوْضِعِهِ، ويُقال: لا أبرحُ أَفْعَلُ ذَلِكَ في مَعْنَى لا أزالُ، وخصَّ تركيب (لا أبرحُ) أو ما في معناه من دخول حرفِ النَّفي على مادَّة (برح) بالإثبات، كقولهم: لا أزال؛ لأنَّ (برح) و(زال) اقتضيا معنى النَّفي، و(لا) للنَّفي، والنَّفيان يحصل من اجتماعهما إثباتٌ؛ لأنَّ نفيَ النَّفي إثباتٌ[3].

3) ﴿أَبْلُغَ﴾: (بلغ) أصل يدلّ على الانتهاء إلى أقصى المقصدِ والمنتهى ووصول الشَّيء إلى غايةٍ، مكانًا كان أو زمانًا، أو أمرًا من الأمور المُقدَّرة، وربَّما يُعبَّر به عن المشارفة عليه، وإن لم ينته إليه، فيُقال: بلغَ المكانَ؛ إذا وصلَ إليه، وبَلَغَتِ الثِّمارُ: أَدْرَكَتْ، ونَضِجَتْ، ومنه ما يفيد الوصول إلى زمن أو مستوًى عمريٍّ مُعيَّن، كقولِهم: بلغ الغلامُ[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 358 - 359.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (فتي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (برح).
(4) الراغب، المفردات، والفيومي، المصباح المنير، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (بلغ).

4) ﴿مَجْمَعَ﴾: (جمع) أصل يدلّ على ضمِّ الشَّيءِ بتقريب بعضه من بعضٍ، أي: بتضامٍّ أشياءَ متجانسةٍ كثيرةٍ تلاقيًا أو تلاحمًا أو تراكمًا، يُقال: جَمَعْتُهُ، فاجْتَمَعَ، والجُمعُ: الكفُّ المقبوضة، والمَجْمَعُ بفَتْحِ الميم وكَسْرِها - مِثْلُ: المَطْلَعِ والمِطْلَعِ - يُطْلَقُ على الجَمعِ وعلى مَوْضِعِ الاجْتِماعِ[1].

5) ﴿أَمْضِيَ﴾: (مضي) أصل يدلّ على نَفاذِ شيءٍ ومُرورِه بغلظ أو قوَّة في أثناء شيءٍ كما يمضي السيفُ، أَيْ: ينفذ في جسم الضَّريبةِ، وتصريفُ الكلمة: مَضَى يَمضي مُضيًّا، والمَضاءُ: النَّفاذُ في الأَمرِ، ومَضَى في الأرضِ بمعنى: نَفَذَ، وذهب، وسارَ[2].

6) ﴿حُقُبًا﴾: يدلُّ الحقب على الحَبْسِ، يُقالُ: حَقِبَ العامُ؛ إذا احْتَبَسَ مَطَرُهُ، وحَقِبَ البَعيرُ؛ إذا احْتَبَسَ بَوْلُهُ، والحقيبةُ: الوعاءُ الذي يُجعل فيه الزّادُ أو الأشياء، والأصل أن تكون الحقيبةُ في مؤخَّرِ الرَّحلِ، والحِقبَةُ بكسرِ الحاء وضمِّها، وتُجمعُ حِقبَةٌ على حِقَبٍ كَقِرْبَة وقِرَب وحُقَبة على حُقَب كَغُرْفَة وغُرَف، والحِقبةُ بالكسر أو الضَّمِّ الدَّهرُ، وقيل: الحِقبَةُ ثمانون عامًا، وقيل: أكثر، والصحيح أنَّها مدَّةٌ طويلةٌ من الزمان مبهمةٌ، وذلك لما يَجْتَمِعُ في الحقبةِ مِنَ السِّنين والشُّهور[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ يُخبر عن نبيِّه موسى ﷺ، وعن شدَّةِ رغبته في الخير وطلبِ العلم مُبيِّنًا قصَّتَهُ مع الخضرِ ﷺ، فيقول: واذكُرْ -

الحثُّ على الرِّحلةِ في طلبِ العلمِ، ولو كان في السَّفرِ نصبٌ ورهقٌ

(1) الراغب، المفردات، والفيومي، المصباح المنير، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (جمع).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والفيومي، المصباح المنير، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (مضى).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (حقب).

يا مُحمَّدُ ﷺ - حينَ قال موسى لخادِمِه يوشَعَ بنِ نون: لا أزالُ أتابِعُ السَّيرَ حتى أصِلَ إلى مُلتقى البَحرين، أو أسيرَ زمنًا طويلًا حتَّى أجدَ العبدَ الصّالحَ الذي أخبَرَني اللّهُ بعِلمِه وفَضلِه؛ لأتعلَّمَ منه ما ليس عندي مِن العِلم[1].

وقد جاء في الحديث ما يوضِّح معنى الآياتِ، فعَنِ ابْنِ عبّاسٍ أنَّه تَمارَى هو والحُرُّ بنُ قَيْسِ بنِ حِصْنٍ الفَزاريُّ في صاحِبِ موسَى، قالَ ابنُ عبّاسٍ: هو خَضِرٌ، فمَرَّ بهما أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، فدَعاهُ ابنُ عبّاسٍ فقالَ: إنِّي تَمارَيْتُ أنا وصاحِبي هذا في صاحِبِ موسَى، الذي سَأَلَ موسَى السَّبيلَ إلى لُقيِّه، هلْ سَمِعْتَ النبيَّ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قالَ: نَعَم، سَمِعْتُ رَسولَ اللّه ﷺ يقولُ: بيْنَما موسَى في مَلَإٍ مِن بَني إسْرائيلَ جاءَهُ رَجُلٌ، فقالَ: هلْ تَعْلَمُ أحَدًا أعْلَمَ مِنْكَ؟ قالَ موسَى: لا، فأوْحَى اللّه ﷻ إلى موسَى: بَلَى، عَبْدُنا خَضِرٌ، فسَأَلَ موسَى السَّبيلَ إلَيْه، فجَعل اللّه له الحوتَ آيَةً، وقيلَ له: إذا فقَدْتَ الحوتَ؛ فارْجِعْ، فإنَّكَ سَتَلْقاهُ، وكانَ يَتَّبِعُ أثَرَ الحوتِ في البَحْرِ، فقالَ لموسَى فتاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: 63]، قالَ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: 64]، فوَجَدا خَضِرًا، فكانَ مِن شَأْنِهما الذي قَصَّ اللّهُ ﷻ في كِتابِه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصلِ بالواوِ في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾:

جاءت جملة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ معطوفةً على جملة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الكهف: 50] من عَطْفِ القِصَّةِ على القِصَّة، والتَّقْديرُ: (واذْكُرْ إذْ قالَ موسَى لفَتاهُ)، أي: اذْكُرْ ذَلِكَ الزَّمَنَ، وما جَرَى فيه،

في قصَّةِ موسى عِبرةٌ للمخاطَبين وحِكمةٌ للمبلَّغين

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 308.
(2) البخاريّ، صحيح البخاريّ، رقم الحديث: (74).

أو اذكر قصَّةَ موسى في ذلك الزَّمن، وناسَبَها تَقْديرُ فِعْلِ (اذْكُرْ)؛ لأَنَّ في هَذِه القِصَّةِ مَوْعِظَةً وذِكْرَى للمخاطَبين جميعًا، كَما في قِصَّة خَلْقِ آدمَ[1].

دلالةُ تصدير الآية بـ﴿وَإِذْ﴾:

ما بعدَ (إذْ) فيه شأنٌ عظيمٌ وخبرٌ جسيم

صُدِّرَ الكلامُ بظرف الزَّمان ﴿وَإِذْ﴾؛ ليفيد أنَّ الخبرَ الذي يُذكرُ بعده له شأنٌ عظيمٌ فخمٌ، وأنَّه ينبغي الإصغاءُ إليه؛ لأنَّ فيه عبرةً لمن اعتبر، ووجهُ التعظيم والتفخيم بـ(إذْ) النَّصُّ عليه، ولمّا اقترن (إذْ) بالقول؛ دلَّ على أنَّ شأنَ القصَّة في المقاولة والمحاورة.

دلالةُ قولِه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾:

جوازُ تصريح المسافرِ لطلبِ العلمِ بمطلبِه إذا اقتضت المصلحةُ

قد يُقال: لمَ قال موسى قولَه لفتاه؟ ولمَ أخبرَه بوجهتِه، والفتى ليس له إلّا التَّسليم والمتابعةُ؟ وجوابُه أَنَّ المَصلحةَ في الإخبارِ بمَطلَبِه، وأين يُريدُه لإعدادِ العدَّةِ وتهيئةِ الأمرِ، وإتيانِ الأمرِ على بصيرةٍ، وتوطين فتاه على السَّفرِ ومشقَّتِه، ولإظهارِ شَرَفِ هذه العبادةِ الجَليلةِ[2].

بلاغةُ التَّعبير بقولِه: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾:

دلالةُ (لا أَبْرَحُ) بين معنى (لا أزال) أو (لا أزول)

لمّا كان ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ فعلًا ناقصًا بمعنى (لا أزالُ)، وفيه معنى المداومة وعدم الفتور؛ كان المعنى: لا أزالُ أسيرُ مداومًا على سيري، أو لا أتركُ السَّيرَ مداومًا عليه من غيرِ فتور حتى أبلغَ مجمعَ البحرين أو أمضيَ حقبًا، فيكون موسى ﷺ قد قال هذا القولَ، وهو يبتغي بين البحرين، ويسير متَّجهًا إليه، وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ بمعنى: لا أزول، فيكون الفعل تامًّا، ويكون استعارةً لمعنى عدم المفارقة، أي: لا أَتْرُكُ، أَوْ لا أَكُفُّ عَنِ السَّيْرِ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ، فيكون المُرادُ: لا أزولُ عن حالي وشأني في السَّير، ليفيدَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 359.
(2) السّعديّ، تفسير السّعديّ، ص: 482.

مداومة حالِه على السَّير ولزومه وطلبه، أي: لا أتركه ولا أُفارقه، فكأنَّه ليس له شأنٌ سوى السيرِ حتَّى يبلغ مجمعَ البحرين، أو يمضي في سيرِه زمنًا طويلًا[1].

بلاغةُ حذف خبرِ ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾:

التَّنويهُ بشأنِ بذلِ الجُهدِ في السَّفرِ للتَّعلُّم

إذا كان ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ فعلًا ناقصًا - وهو الظّاهر عند جمهور المُفسّرين - فيُحتمل أن يكون الخبر: (أسيرُ) محذوفًا؛ للإيذانِ بعمومِ الخبر الدّالِّ على معنى السَّير والسَّفر وبذلِ الجُهد لتحصيل المُرادِ، كما أنَّ قرينةَ الحال والسّياق معًا يدلّان على الخبر، أمّا قرينة الحال؛ فلأنَّها كانت حالَ سفر، وأمّا قرينة سياق الكلام؛ فلأنَّ قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ غايةٌ مضروبةٌ تستدعي ما هي غاية له، اعتمادًا على قرينة الحال؛ إذ كان ذلك عند التوجُّه إلى السفر واتِّكالًا على ما يعقبه من قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ﴾، إذ الغاية لا بدَّ لها من مغيًّا، والمناسب لها هنا السَّيرُ، فالظّاهر أن يكون المعنى: لا أبرحُ أسيرُ حتَّى أبلغَ مجمعَ البحرين، وجوَّز بعض النُّحاة والمُفسِّرين أن يكون أصلُهُ: لا يبرح مسيري ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ﴾ على أن يكونَ ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ﴾ هو الخبر، فحُذِف المضاف (مسير)، وأُقيم المُضافُ إليه مقامه؛ فانقلب الضَّمير وهو الياء من البروز والجرِّ إلى الرفع والاستتار، وانقلب الفعلُ من الغيبة إلى التَّكلُّم، فصار ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾[2].

سببُ إيثار التَّعبيرِ بلفظ ﴿لِفَتَىٰهُ﴾:

من حُسنِ الأدبِ التلطُّفُ مع الخَدَم

لَمّا كانَ الخَدَمُ أَكْثَرَ ما يَكونونَ فِتْيانًا؛ قيلَ للْخادِم: فتًى، على جِهَةِ حُسْنِ الأَدَبِ والتَّلطُّف[3]، وأوثر لفظ (الفتى) لما يدلُّ عليه اللَّفظ من معنى القوَّة والطَّراوة، وأنَّه كانَ شابًّا صالحًا للخدمة والمعاشرة، وأنَّه كان يُؤاخذُ على تصرُّفاته.

(1) يحيى بن سلّام، التصاريف، ص: 317، والكرماني، لباب التفاسير، ص: 1261.
(2) الزّمخشريّ، الكشاف: 2/ 731، والعُكْبَري، التبيان: 2/ 854، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 286.
(3) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 3/ 527، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 198.

فائدةُ الإضافةِ في قولِه: ﴿لِفَتَىٰهُ﴾:

خدمةُ العلمِ محمودةٌ، وهي من أجلِّ ما أمر الله به

الإضافةُ هنا على معنى اللّام لتُفيد الاختصاص، للإشارة إلى أنَّ الفتى كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العلم[1]، ففتاه كان يتعلَّمُ منه ﷺ آدابَ طالب العلم حين عزم موسى ﷺ على طلب العلمِ على يدَي الخضرِ.

فائدةُ تقديم ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ على مقول القول:

في التَّقديمِ إشعارٌ بإقبال موسى ﷺ على فتاه وأُنسه به

تقديمُ الجارِّ والمجرور للاعتناء بالمقول له، وهو الفتى الذي يرافقُ موسى ﷺ وتشريفه، والاهتمام به وتخصيصُهُ بتلك المقالة دون غيره[2]، كما أنَّه لو أُخِّرَ الجارُّ والمجرور عن مقول القول؛ لضعف النَّظم، وانقطعت الفاصلةُ، كما هو ظاهرٌ في الكلامِ، وفي التقديمِ إشعارٌ بإقبال موسى ﷺ على فتاه وأنسه به، وهذا أسمى ما يكون بين المعلِّمِ والطالب، والخادمِ والمخدوم، وهذا مِن هدايات القرآنِ العظيمِ.

دلالةُ النَّفي بـ﴿لَآ﴾ في السّياق الحكيم:

عزْمُ موسى ﷺ على بلوغ غايتِه في لقاء الخضرِ وصحبتِه

يدلُّ النَّفيُ بـ﴿لَآ﴾ على أنَّهُ حين قال قولَه لفتاه، كانَ قد ابتدأ سيرَهُ عازمًا على أن تكونَ نِهايَةُ سيره البُلوغَ إِلَى مَكان مجمع البحرين، كما أفادت ﴿لَآ﴾ نفيَ المستقبل المتطاول[3]؛ إشعارًا بعزمِ موسى ﷺ القاطع على بلوغ غايتِهِ، وأنَّه لا يشتغلُ بشيءٍ دون بلوغِ مجمع البحرين.

تلوينُ الخطابِ في الإخبار عن قول موسى:

موسى ﷺ هو المقصود بالتَّعلُّم، وليس فتاهُ سوى شخصيَّة مساعدة

جاء الكلامُ على طريق الالتفاتِ بتلوين الخطاب من الغيبةِ في قولِه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ إلى التَّكلُّم في قولِه: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾؛ فجاءت الأفعال ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ و﴿أَبۡلُغَ﴾ و﴿أَمۡضِيَ﴾ بصيغة المتكلِّم؛ إشعارًا بأنَّه هو المقصود بالتَّعلُّم من

(1) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 154، والزّجّاج، معاني القرآن: 3/ 299، والواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 67.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/ 114.

(3) السّامرائيّ، معاني النحو: 3/ 361.

العبد الصّالح، وأنَّه هو الذي يقومُ بالمهمَّة والصُّحبةِ؛ لأنَّ هذا هو مدارُ القصَّةِ أصلًا، وما شأنُ فتاه إلّا المتابعةُ والتَّسليمُ.

فائدةُ الحرفِ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في السّياق:

عُبِّرَ بـ﴿حَتَّىٰٓ﴾ دون (إلى)، فلم يَقُلْ: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾؛ لما تفيدُه ﴿حَتَّىٰٓ﴾ من انقضاء السَّير شيئًا فشيئًا، إيذانًا بالبحثِ والتَّفتيشِ عن مجمع البحرين، وأنَّه لم يكن يعلمُ موضعه تمامًا، وفي التَّعبير بـ﴿حَتَّىٰٓ﴾ إشعارٌ بأنَّ سيرَهُ طويلٌ مُتقطِّعٌ، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: 62]، فالتعبيرُ بها تمكينٌ لشَغَفه بالعِلْم وحرصه العظيم عليه.

ديدنُ المتعلِّمِ البحثُ والتَّفتيشُ حتَّى يصلَ إلى المعلِّم الرَّبانيِّ

سببُ إيثارِ التَّعبير بـ﴿أَبۡلُغَ﴾ دون (أَصِلَ):

عُبِّرَ بلفظ ﴿أَبۡلُغَ﴾ إيذانًا بأنَّه ﷺ كان عازمًا على الوصول إلى أقصى المقصد وتحصيل الغاية وتمامِها، فالعلمُ كان غايتَهُ، وتحت هذا المعنى عظمةُ العلم في بصره وبصيرته، وشديدُ حرصِه على تحصيلِه، ثم بلوغُ مجمع البحرين؛ لبلوغ العِلْم على يدي الخَضِر، ففي التَّعبير به إشعارٌ لطيفٌ بأنَّ نبيَّ الله موسى ﷺ استشعر أنَّ فيه نقصًا، وعَلِم يقينًا أنَّه ليس أعلمَ البشر، فسعَى لتكميل نفسِه وبلوغِها الكمالَ في باب العلم.

طالبُ العلمِ لا يتوانى عن الوصولِ إلى أقصى مقصدِه لبلوغِ غايتِه

سببُ إيثارِ لفظ ﴿مَجۡمَعَ﴾ دون (مُلْتقَى):

عُبِّرَ باسم المكان ﴿مَجۡمَعَ﴾ لما يشعر به لفظ الجمع من معنى الكثرة ومعنى التَّجانس بين البحرين، ولا يدلُّ لفظُ الالتقاء على هذا المعنى المناسب للسّياق؛ لأنَّ اللِّقاء مقابلةُ الشَّيء، وقد يكون على وجه المصادفة[1]، فالتَّعبيرُ به يصوِّرُ في لُطْفٍ موقِعَ الخضر المعلم في بصيرة موسى ﷺ ونفسِه وقلبِه، كأنَّهما شيء واحدٌ.

المجمعُ يدلُّ على الكثرة والتَّجانسِ، والملتقى يدلُّ على المقابلةِ

(1) الراغب، المُفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (لقي).

فائدةُ الإضافةِ في قولِه: ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾:

المكانُ يشمل موضعَ التقاء البحرين، وما يقرب منه من السّاحل

في قولِه: ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ جاءتِ الإضافة على معنى اللّام لتُفيد الاختصاص والتَّعيين، بمعنى: أنَّه ﷺ كان يقصد السَّير في سفرِه إلى مكانٍ مُعيَّنٍ، ولمّا كان ﴿مَجۡمَعَ﴾ اسمَ مكانٍ؛ كان المرادُ مكانَ جمعِ البحرين، فيشمل عينَ موضعِ التقاء البحرين وما يقرب منه من السّاحل، كما يدلُّ عليه سياق الكلام، وما أنسبَ التَّوقيتَ بمجمعِ بحرَي الماءِ بمجمعِ بحرَي العلم! أي: موسى ﷺ والعبد الصّالح[1].

دلالة ﴿أَوۡ﴾ في قوله: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ﴾:

التَّرديدُ بين غايتَيْن من مقاصد حرفِ المعنى في السّياق

في قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ الظّاهرُ أنَّ ﴿أَوۡ﴾ هي العاطفة على معنى التَّرديد في حصول الشَّيئَيْن، فعُطِفَ ﴿أَمۡضِيَ﴾ على ﴿أَبۡلُغَ﴾ بـ﴿أَوۡ﴾؛ فصارَ المَعْطوفُ إحْدَى غايَتَيْنِ للإقْلاعِ عَنِ السَّيْرِ، أَيْ: إمّا أَنْ أَبْلُغَ المَكانَ، أَوْ أمضيَ زَمَنًا طَويلًا.

جوازُ مجيء ﴿أَوۡ﴾ بمعنى (إلّا أنْ):

لم يكنْ لموسى مقصدٌ سوى صُحبةِ الخضر والتَّعلم من علمه اللَّدني

أجاز بعض النَّحاة والمفسِّرين أن تكون ﴿أَوۡ﴾ بمعنى: (إلّا أنْ)، وتقديرُ قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾، أيْ: لا أبرح أسير إلّا أن أمضي زمانًا، أتيقَّن معه فواتَ المَجْمَع، والاستثناءُ حينئذٍ مُفرَّغٌ من أعمِّ الاحوال؛ ليفيد أنْ ليس له مقصدٌ سوى بلوغِ مجمعِ البحرَيْن، وأنَّه سيداوم سيرَهُ، ويستطيل فيه حتَّى حصول المقصود، وهذا يُنْتِجُ حرصَهُ الشديد على تحصيل العلم وعظيم حبِّه له، ولا تُقدَّر ﴿أَوۡ﴾ بـ(إلى أنْ)؛ لأنَّه يقتضي جزم موسى ﷺ ببلوغ المجمع بعدَ سيرِه حقبًا، وهذا المعنى ليس بمرادٍ[2].

فائدةُ العطف بـ﴿أَوۡ﴾ في الآية:

في قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ ذُكِرَ المعطوف عليه الذي هو

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 96.

(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 286، والشّهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 200.

المقصود في الكلامِ، ثم عُطِفَ عليه أمرٌ آخر فيه مشقَّة واستحالةٌ في العُرْف، ليفيد حرصه على تحصيل المعطوف عليه، والمعنى: لا أزالُ أسير حتى يقع إمّا بلوغُ المجمع، أو مُضي الحُقُب.

بيانُ شدَّة حرصِ موسى عليه السلام على التَّعلُّم

سرُّ التَّعبير بالمُضيّ دون الذَّهاب أو السَّير:

أفاد التَّعبير بلفظ: ﴿أَمْضِيَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أنَّ سَيرَهُ عليه السلام كان سيرَ نفاذٍ وقوَّة؛ إشعارًا بأهميَّة حصول المقصود، وإدراك الطَّلب، وفيه تنبيهٌ إلى أنَّ حصولَ مطلوبِه ليس سهلًا، فيحتاج إلى توطين النَّفس على طولِ السَّفر وشدَّة التَّعب ومكابدة الصَّبر.

التَّعلُّم يحتاجُ إلى توطين النَّفس على السَّفر والتَّعب والمصابرة

بلاغةُ المجازِ في جملة: ﴿أَمْضِيَ حُقُبًا﴾:

عبَّرَ بالحُقُبِ مجازًا في قولِه تعالى: ﴿أَمْضِيَ حُقُبًا﴾، والمُرادُ به لازمهُ، وهو الزمان الطَّويل، والمعنى: أو أسير سيرًا نافذًا زمانًا طويلًا، ففي المجازِ إيجازٌ[1]، وعبَّرَ بالحقب دون غيرِه من الألفاظ الدّالَّةِ على الزَّمن الطويل؛ للإيذانِ بعزمِه على مُضيِّه في بلوغِ مجمع البحرين للقاء العبدِ الصالح الخضرِ، وإن سارَ حِقبَةً بعد حقبَةٍ، كما أنَّ التَّعبير بالحقب فيه إشعارٌ بأنَّه يُداوم على المُضيِّ في سيرِه وسفرِه مع تنوُّع أحوالِه وظروفِه، وإنْ بَعُدَتِ المسافةُ؛ لأنَّ الحِقبَةَ تفيدُ أنَّها ظرفٌ لأعمالٍ ولأمورٍ تجري فيها، فهي مأخوذةٌ من الحقيبةِ كما تقدَّمَ.

الحثُّ على اغتنامِ لقاءِ العُلَماءِ، وإنْ بَعُدت أقطارُهم

بلاغةُ الكنايةِ في: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾:

لمّا كان السَّيرُ حُقُبًا لا يقصد منه استيعابُ الحقبِ بالسَّير؛ لأنَّه ليس له فائدةٌ في نفسِه كما أنَّه خارجٌ عن العادةِ، ولمّا كانَ موسَى لا يُخامِرُهُ الشَّكُّ في وُجودِ مَكانٍ هوَ مجمعٌ للبحرين وإلفاءِ طِلْبَتِه عِنْدَهُ؛ لأَنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ بوَحْيٍ مِنَ اللهِ تَعالَى؛ تَعَيَّنَ أَنْ يَكونَ المَقْصودُ

طالبُ العِلمِ يتحمَّلُ المتاعبَ في الطَّلبِ من غيرِ ملالٍ وكلالٍ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 751، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 117.

بجملة حَرْفِ التَّرْديدِ كنايةً عن عزمِ موسى ﷺ الجازم وتصميمِه على لقاء العبد الصّالح وشوقه ورغبتِه في التَّعلُّم منه، وأنَّه لا يشتغل بشيءٍ حتَّى يبلغ مجمعَ البحرين، فكأنَّ موسى ﷺ وطَّنَ نفسَه على تحمُّلِ التَّعبِ الشَّديدِ إلى أنْ يلقاه، وفيه تنبيهٌ على شرف العِلم، وأنَّ طالبَ العِلم يحقُّ له أنْ يسافرَ، ويتحمَّلَ المتاعب في الطلبِ من غير ملالٍ وكلالٍ، كما أنَّه أَرادَ شَحْذَ عَزيمَةِ فتاهُ ليُساويَهُ في صِحَّةِ العَزْمِ حَتَّى يَكونا على عزم مُتَّحد[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفتى والغلام:

الفتى الطَّريُّ من الشَّباب الصّالح للخدمة، والغلام البالغ الرَّشد والتَّمييز

الغلامُ: الطّارُّ الشارِبِ، وطَرَّ شاربُه، أيْ: طَلَعَ وظهر، واغْتَلَمَ الغُلامُ؛ إذا بلغ حدَّ الشَّهوة، وذهب بعض اللُّغويّين إلى أنَّ الولد غلامٌ من ولادته إلى أن يحتلم، ولا شكَّ أنَّ هذا من باب التَّفاؤل، فأساسُ تسميته غلامًا هو اغتلامُه، أيْ: بلوغه حالةَ الرغبةِ في الأنثى[2]، وقد لا يكون الغلامُ صالحًا للخدمةِ، ولا يكون مؤهَّلًا لها، وأمّا الفتى؛ فهو الطَّريُّ من الشَّباب، القويُّ الصّالح للخدمة والمعاشرة، المؤاخذُ على تصرُّفاته، وقد جعل اللّه تَعالَى صاحبَ موسَى ﷺ الَّذي صَحِبَهُ في البَحْرِ فتاه، فقالَ تَعالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾؛ لأنه كانَ يَخْدِمُهُ في سَفَرِهِ، ودَليلُهُ قَوْلُهُ: ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: 62][3]، فكان استعمالُ لفظِ الفتى في صحبة السَّفر - الَّتي تحتاج إلى الخدمة واللُّطفِ فيها، وإلى الجلدِ والقوَّة - هو المناسب للمقام.

(أبرح) و(أزال):

يدلُّ الفعل (زال) على تَنَحّي المزالِ عن مَكانِهِ، ومفارقته له

(1) النيسابوريّ، غرائب القرآن: 4/ 445، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 365.
(2) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (غلم).
(3) الزجّاج، معاني القرآن: 3/ 299، وابن منظور، لسان العرب: (فتا).

جانحًا عنه، فيَقولونَ: زالَ الشَّيْءُ زَوالًا، وزالَتِ الشَّمسُ عن كَبِدِ السَّماءِ تَزولُ، ويُقالُ: أَزَلْتُهُ عَنِ المَكانِ، والزَّوالُ يُقال في أمرٍ قد كان ثابتًا قبلُ، ويدلُّ الزَّوال على الذَّهاب والاسْتِحالة والاضْمِحْلال، وقوله: (لا يزال) يُفيد كثرةَ الحركة في السَّير وقلَّة المسافة التي يقطعها، ومنه الزَّوّال: وهو الَّذي يتحرَّك في مَشْيِه كَثيرًا وما يَقْطَعُهُ مِنَ المَسافَةِ قَليلٌ، وأمّا (أبرح)؛ فيُقال في أمرٍ قد بدأ عمله، ويدلُّ على زوال الشَّيء عن موضعِه بقوَّةٍ[1]، وقوله: ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ يدلُّ على كثرة الحركة وكثرةِ المسافة التي يقطعها، فكان التَّعبيرُ بـ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ هو المناسبَ للمقام.

لفظُ (أبرح) يدلُّ على زوال الشَّيء، و(الزَّوال) يدلُّ على الذَّهاب والاضْمِحلال

(أبلغ) و(أَصِل):

البلوغُ هو الوصول إلى غاية المقصودِ ونهايتِه، والتَّمكُّن منه بأحسن صورةٍ وأدلِّها، ولفظ (بلَغَ) يُقال في أمرٍ قد بدأ عملُهُ، ويدلُّ على زوال الشَّيء عن موضعِه بقوَّةٍ، فالفعل (وصل) يدلُّ على الوصول إلى الهدف، ولا يشعر بتحقيق الغاية ولا التمكُّن منها.

البلوغُ الوصول إلى المنتهى، ووصل يدلُّ على الوصول للهدف

المُضيُّ والسّير والذّهاب:

السَّيرُ: يدلُّ على امتدادٍ في الجري والذَّهاب، ويكون في ليلٍ أو نهارٍ، ولا يدلُّ على نفاذٍ في السَّير ولا قوَّةٍ فيه، كما هو لفظ (مضى) المناسب لتعلُّقه بالحُقُبِ الدّال على طول زمن السَّير وقوَّته، وأمّا الذَّهابُ؛ فهو سيرٌ وانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ، فيقتضي ذِكْرَ غايةِ الذَّهاب[2]، ولمّا كان المُرادُ بيانَ مُضيِّ موسى ﷺ في سَفَره ونفاذِه فيه على معنى عزمِه على مداومة السَّفرِ حتَّى يبلغَ مجمعَ البحرين؛ فقد عُبِّرَ بـ﴿أَمۡضِيَ﴾ دون غيرِه، فهو المناسب لمقامِ الكلام ومقصدِه.

المضيُّ نفاذٌ في السَّير، وقوَّة على مواصلته، وهو المناسب للسّياق

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المُفردات، وابن منظور، لسان العرب: (زول).
(2) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (ذهب)، و(سير).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»